مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: السبعون

السنة: الرابعة والأَربعون

الموصـــــــل

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. هاشم يحيى الملاح – جامعة الموصل (تاريخ إسلامي)
- أ.د. عماد الدين خليل عمر – جامعة الموصل (تاريخ إسلامي)
- أ.د. إبراهيم خليل العلاف – جامعة الموصل (تاريخ حديث)
- أ.د. محي الدين توفيق إبراهيم – جامعة الموصل (لغة عربية)
- أ.د. صالح علي الجميلي – جامعة تكريت (أدب عربي)
- أ.د. بشرى حمدي البستاني – جامعة الموصل (أدب عربي)
- أ.د. عباس جودة رحيم – جامعة الموصل (لغة إنكليزية)
- أ.د. حسن رضا النجار – الجامعة المستنصرية (معلومات ومكتبات)
- أ.د. ناطق صالح مطلوب – جامعة الموصل (تاريخ إسلامي)
- أ.م. موفق ويسي محمود – جامعة الموصل

الأفكار الواردة في المجلة جميعا تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@yahoo.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: السبعون السنة: الرابعة والأَربعون

رئيس التحـــرير

أ.د. باسم إدريس قاسم

سكرتير التحرير

أ.م.د. محمد سعيد حميـــــد

مدير التحرير

م.م. شيبان أديب رمضان الشيباني

هيئة التحرير

أ.د. مؤيد عباس عبد الحســـــن أ.د. علي أحمد خضر المعمـــــاري

أ.د. عصمت برهان الدين عبد القادر أ.م.د.محمـــــــد عبد الله داؤد

أ.م.د.عمار عبد اللطيف زين العابدين

المتابعة والتصحيح اللغوي

م.د. علي كنعـــان بشير – اللغـــــة العربيـــــة

م. أسامة حميـــد إبراهيم العجيلي – اللغة الإنكليزيـــــة

م. مترجم.إيمان جرجيس أَميـــــن – المتابعـــــــــــة

م. مترجم.نجلاء أَحمد حســـين – المتابعـــــــــــة

قواعـــــد النشـــــر فـــي المجلـــــة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

العنـــــــــوان	الصفحـــة
المَرْوِيُّ عن (رُؤْبَةَ بنِ العَجّاجِ) من القِراءاتِ القُرْآنيَّة أ.د. عبد العزيز ياسين عبد الله	١ – ١٦
تعليل ابن عاشور لوجوه الإعجاز في مقدمة تفسيره العاشرة أ.م.د.عبد الستار فاضل خضر النعيمي	١٧ – ٥٠
الإعواز في بيان علاقات المجاز لأحمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد السجاعي الأزهري المتوفى سنة (١١٩٧) من الهجرة أ.م.د. عبد الكريم علي عمر المغاري	٥١ – ٦٦
التدرُّج الدلالي تعريف وتأصيل أ.م د.روعة محمود محمد علي و م.م.غزوان محمد سلمان	٦٧ – ٨٢
التاريخ وثيقةً شعرية في قصيدة (تواريخ) لجواد الحطاب أ.م.د. أحمد جارالله ياسين	٨٣ – ٩٦
النَّص وسيرورة الذات عند جوليا كرستيفا د.حليمة الشيخ	٩٧ – ١٢٤
نيسابور من مطلع القرن الثالث الهجري حتى الاحتلال المغولي (دراسة في التعاقب السياسي) م.د. حسين ابراهيم محمد الجبراني و م.د. مصطفى هاشم حنون	١٢٥ – ١٥٢
غيلان الدمشقي وآراؤه العقدية أ.م.د.نايف محمد شبيب المتيوتي	١٥٣ – ١٦٦
اسم المفعول في اللغات العاربة دراسة مقارنة أ.م.د. أمين عبدالنافع أمين	١٦٧ – ١٨٦
الأفكل في التراث اللغوي العراقي القديم دراسة لغوية دلالية م. حسنين حيدر عبد الواحد	١٨٧ – ١٩٨

طرائق الطعن في الأحكام القانونية خلال العصر البابلي القديم أ.م.د. محمد عبدالغني البكري	١٩٩ – ٢٣٢
نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم من المتحف العراقي م. خالد علي خطاب	٢٣٣ – ٢٤٤
العلاقات الليبية مع الولايات المتحدة الأمريكية في عهد يوسف باشا القرمانلي ١٧٩٥م–١٨٣٢م م.د.محمد علي محمد عفين	٢٤٥ – ٢٨٢
التنقية والاستبعاد للكتب الطبية في مكتبة المعهد التقني / الموصل م.د.بديعة يوسف عبد الرحمن خدان	٢٨٣ – ٣١٦
الفساد الإداري في العراق – بين رواسب المجتمع وإفرازات الاحتلال دراسة تحليلية في علم الاجتماع السياسي أ.د. علي أَحمد المعماري و أ.م. أَحمد عبد العزيز	٣١٧ – ٣٥٢
الآثار المجتمعية لصور العمل الجديدة في ظل تكنولوجيا الاتصالات – دراسة ميدانية في شركة نينوى للأدوية والمستلزمات الطبية في مدينة الموصل أ.م.د. جمعة جاسم خلف	٣٥٣ – ٣٩٠

نيسابور من مطلع القرن الثالث الهجري حتى الاحتلال المغولي

(دراسة في التعاقب السياسي)

م.د. مصطفى هاشم حنون** و م.د. حسين ابراهيم محمد الجبراني *

تأريخ التقديم:٢٠١٢/٩/٢٧ تأريخ القبول:٢٠١٢/١١/٧

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على نبيّه، والخيرة من أهل بيته، وصحبه الطيّبين .

أمّا بعد: فتعد مدينة نيسابور من أجل البلاد ، ولم يكن بعد بغداد مثلها، وقد عمل لها بعض المؤرخين المسلمين تأريخًا تخضع له جهابذة الحفاظ"، وفي هذه الشهادة ما فيها للدلالة على العظمة التي بلغتها مدينة نيسابور التي تقع حاليًا في الأراضي الإيرانية وإن كانت منطقة نيسابور تقع بين الأراضي الأفغانية والباكستانية.

تجري العادة على أن يكون للمدينة تاريخٌ واحدٌ مسلسلٌ إلا أن مدينةَ نيسابور لها أكثر من تاريخ، ويرجع ذلك إلى كثرة ما تدفق عليها من مؤثرات حضارية وحكام ومدارس فكرية، فكانت في بعض الأحيان درة الحكم الفارسي ثم أصبحت بعد ذلك دارًا من دور الإسلام.

وتدل المرويات التاريخية على أن المدينة تم تأسيسها في القرن الثالث الميلادي؛ أي أن عمرها الآن يقارب تسعة عشر قرنًا ميلاديًّا؛ مما يجعلها واحدةً من المدن التي شهدت على بعض أهم المراحل في التاريخ الإنساني، وبخاصة التاريخ الإسلامي لما شهده التاريخ الإسلامي في تلك المناطق من تحولات فكرية وسياسية.

كانت نيسابور لمدة طويلة عاصمة إقليم خراسان المؤثر في تاريخ الإسلام، ففي هذا الإقليم لقيت الدعوة العباسية الكثير من المناصرين لتتمكن من الانتقال إلى مرحلة المواجهة المباشرة مع الأمويين، وانطلقت جيوشهم ذات الأغلبية الفارسية تجاه دمشق لتؤسس للخلافة

* قسم الاجتماعيات/ فاكلتي العلوم والتربية/ عقرة /جامعة دهوك .

** قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

العباسية ووصلت في العصور الإسلامية إلى مرتبة متقدمة للغاية إذ كانت توصف بأنها مع دمشق بابين للعالم الإسلامي شرقي وغربي.

قُسِّم البحث الى ثلاث مباحث رئيسة، المبحث الاول تضمن الاطار الجغرافي لمدينة نيسابور، والمتمثلة: بموقع المدينة وتسميتها، وتضاريسها المتنوعة، فضلا عن مصادر مياه المدينة.

اما المبحث الثاني فقد تناول مدينة نيسابور من حيث أهميتها وبناؤها وخططها، إذ تنافس البلدانيون المسلمون في بيان اهمية هذه المدينة، فضلا عن خططها والمتمثلة بإبراز دروبها ومساجدها، ودار الإمارة فيها، وابوابها، وارباضها، ومشافيها، علاوةً عن الخطط الاخرى للمدينة.

اما المبحث الثالث والاخير فقد شمل الاوضاع السياسية لنيسابور من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، والصراع المحتدم بين الامارات والدول المشرق الاسلامي للسيطرة على هذه المدينة وحسب التسلسل التاريخي والفترة الزمنية لكل امارة ودولة، إذ بقيت نيسابور محلا للصراع بين الامارات والدول الصاعدة في منطقة خراسان وبلاد ما وراء النهر لمنافسة ومزاحمة الخلافة العباسية التي شهدت مرحلة التراجع في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حتى استولت على المدينة الأسرة الطاهرية التي ما لبثت ان جعلت نيسابور عاصمةً لامارتهم، واستولى عليها كذلك كلاً من الصفاريين، والسامانيين، والغزنويين، واتخذها طغرلبك مؤسس الدولة السلجوقية عاصمة له، وطمع الخوارزميون في ممتلكات السلاجقة بضمنها نيسابور فاستولوا عليها والحقوها بحاضرة ملكهم، وانتهى الدور الحضاري والسياسي لهذه المدينة بالاحتلال المغولي الذي قوض مستقبل نيسابور تماما لا بل كادت ان تأتي بالمدينة من القواعد. واخيرا خاتمة بأهم النتائج التي توصل اليها البحث..

الاوضاع السياسية لنيسابور من مطلع القرن الثالث الهجري وحتى الاحتلال المغولي:

كان لنيسابور اهمية كبيرة لدى القوى المختلفة التي تعاقبت عليها مما جعلها اهم بقاع خراسان واشهرها منذ قيام الامارة الطاهرية – اولى الامارات شبه المستقلة في المشرق الاسلامي– واستمر عطاؤها فيما بعد فقد تعاقبت عليها امارات ودول لها اهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من بين الامارات والدول التي ظهرت في العصر العباسي الثاني، التي كانت

تتنافس فيما بينها، لمد نفوذها لاقتسام المشرق الاسلامي من دون ان يكون للخليفة في بغداد نفوذ يذكر، سوى الخطبة والدعاء في الجمعة والعيدين وضرب السكة باسمه وتقديم الهدايا اليه في المناسبات، كما اشار إلى ذلك ابن الاثير قائلاً: ((وتغلب اصحاب الاطراف، وزلت عنهم الطاعة، ولم يبقَ للخليفة غير بغداد واعمالها))[١].

هكذا كانت الحالة السياسية في المشرق الاسلامي وكان من ضمن مناطق المشرق الاسلامي اهمية لنيسابور ولذلك تعاقبت عليها عدة امارات ودول وهي كل من:

المبحث الاول: نيسابور على عهد الامارة الطاهرية (٢٠٥- ٢٥٩هـ/ ٨٢٠- ٨٧٢م):

الامارة الطاهرية هي اول الامارات الاسلامية المستقلة في المشرق الاسلامي وخراسان، والتي خرجت من عباءة التبعية المباشرة للخلافة العباسية وامتدت حدودها في أوج قوتها من قومس إلى جبال الهند ونهر السند، وافغانستان اليوم، وسجستان، وبلاد ما وراء النهر [٢].

وقد ظلت نيسابور هادئة ساكنة بعيدة عن الاحداث السياسية لا يعكر هدوءها تمرد، ولا يثير استقرارها عصيان حتى قامت الامارة الطاهرية في خراسان وبلاد ما وراء النهر، بعد ان اصدر الخليفة المأمون امره بتعيين قائده طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي والياً على المشرق [٣].

بقيت مدينة مرو قصبة ولاية خراسان وقد نزلها من الطاهريين كلاً من طاهر بن الحسين وابنه طلحة بن طاهر (٢٠٧- ٢١٣هـ/ ٨٢٢- ٨٢٨م) إلى ان نزل الامير عبد الله بن طاهر مدينة

(١) الكامل في التاريخ، ج٧، ص ٥٣.

(٢) عبد الحميد حسين حمودة: تاريخ الدولة الاسلامية المستقلة في المشرق منذ قيام الدولة الطاهرية وحتى نهاية الدولة الغزنوية، الدار الثقافية للنشر (القاهرة، ٢٠٠٩م)، ص ٩.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٧، ص ٥٧٧؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص ١٩٧؛ المستوفي القزويني: تاريخ كزيده، ص ٣١٤.

نيسابور عند تعيينه والياً على خراسان وبلاد ما وراء النهر عام (٢١٣هـ/ ٨٢٨م) فاتخذها قصبة ولاية خراسان ومقر حكمه ومركز الدواوين [١].

وبذلك فقدت مدينة مرو اهميتها السياسية والادارية لتحل محلها نيسابور كأهم مدينة في المشرق الاسلامي [٢]، قال حمزة الاصفهاني: ((ان نيسابور بقيت دار الامارة إلى ان ولي اسماعيل بن احمد بن اسد الساماني اعمال الطاهريين، فسكن بخارا))[٣].

بقيت نيسابور قصبة ولاية خراسان حتى سقوط الامارة الطاهرية عام (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م)[٤].

ومن الاحداث الهامة في تاريخ مدينة نيسابور على عهد الطاهريين تمكن عبد الله بن طاهر من كشف تآمر الافشين (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م) قائد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨- ٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤١م)، وذلك عندما وضع الامير عبد الله بن طاهر يده على اموال الافشين التي كانت بحوزة اصحابه التي كان يرسلها إلى قومه ليدعم التمرد الذي ينشده في مدينة اشروسنة [٥] في بلاد ما وراء النهر [٦].

وفي مدينة نيسابور مات عبد الله بن طاهر سنة (٢٣٠هـ/ ٨٨٤م) فأسند الخليفة الواثق بالله (٢٢٧- ٢٣٢هـ/ ٨٤١- ٨٤٦م)، اعماله إلى ابنه طاهر بن عبد الله بن طاهر (٢٣٠- ٢٤٨هـ/

(١) اليعقوبي: البلدان، ص ٩٦؛ حمزة الاصفهاني، حمزة بن الحسن: تاريخ سني ملوك الارض والانبياء (ﷺ)، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، ١٩٨٠م)، ص ١٦٨.

(٢) ابن حوقل: صورة الارض، ص ٣٦٢؛ الحاكم النيسابوري: تاريخ نيشابور، ص ١١٥.

(٣) تاريخ سني ملوك الارض، ص ١٦١.

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٩٧؛ حمزة الاصفهاني: تاريخ سني ملوك الارض، ص ١٦٩- ١٧٠؛ مؤلف مجهول: تاريخ سجستان، ترجمة: محمود عبد الكريم علي، المجلس الاعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص ١٨١؛ رسول جعفريان: تاريخ ايران اسلامي ج٢، ص ٢٤.

(٥) أشروسنة: بلدة كبيرة ببلاد ما وراء النهر بين نهر سيحون ومدينة سمرقند والغالب عليها الجبال. للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ص ١٩٧.

(٦) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٢٤٨- ٢٥٣؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١١، ص ٩٨- ٩٩؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٥٠-٥٦؛ ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن: تاريخ طبرستان، ترجمة: احمد محمد نادي، المجلس الاعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ص ٢٢٣-٢٢٤.

٨٤٤- ٨٦٢م)[١]، وتفيد التطورات التاريخية لسنين حكم طاهر بن عبد الله بان اوضاع نيسابور كانت مستقرة واستمرت مقر لحكمه إلى ان مات في رجب سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م) [٢]، ولما بلغ الخليفة المستعين بالله (٢٤٨- ٢٥٢هـ/ ٨٦٢- ٨٦٦م) خبر وفاة طاهر الثاني استخلف ولده محمد بن طاهر بن عبد الله (٢٤٨- ٢٥٩هـ/ ٢٦٢- ٨٧٢م) الذي استمر بالمحافظة على جعل نيسابور قصبة ولاية خراسان حتى سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) التي شهدت سقوط الامارة الطاهرية على يد يعقوب بن الليث الصفار الذي دخلها بقوة السيف، معلناً قيام الامارة الصفارية في خراسان، فقبض على الامير الطاهري محمد بن طاهر وحبسه واهل بيته ثم استعمل على نيسابور والياً من قبله [٣].

المبحث الثاني: نيسابور على عهد الامارة الصفارية (٢٥٤- ٢٩٨هـ/ ٨٦٧- ٩١٠م):

ينتسب الصفاريون إلى مؤسس الامارة الصفارية يعقوب بن الليث الذي كان في حداثته صانعاً في عمل الصفر في سجستان فجاء اللقب إلى المهنة من دون النسبة إلى اجداده أو الولاء لقبيلة أو الانتساب لمدينة ولذلك سميت الامارة الصفارية [٤].

بزغ نجم يعقوب بن الليث الصفار بزعامته لفرق الجند المتطوعة لحرب الخوارج في سجستان، والقضاء عليهم والسيطرة على معظم سجستان ومن ثم مد نفوذه على الاقاليم المجاورة حتى تمكن خلال سنتين (٢٥٥- ٢٥٦هـ/ ٢٦٨- ٢٦٩م) من السيطرة على كل من اقليم كرمان

(١) اليعقوبي: البلدان، ص ١٤٢- ١٤٣؛ الطبري: تاريخ، ج٩، ص ١٣١؛ حمزة الاصفهاني: تاريخ سني ملوك الارض، ص ١٦٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١١، ص ١٥١.

(٢) الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٠٠- ٢٠١؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص ١٢؛ الجوزجاني: طبقات الناصري، ج١، ص ١٩٣.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٩٧؛ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية (القاهرة، ٢٠٠٣م)، ج٤، ص ٢٠٠.

(٤) للمزيد عن نسبهم ونشأتهم وبروزهم على الساحة السياسية في المشرق الاسلامي بصورة عامة وفي الدولة العباسية على وجه الخصوص. ينظر، حمزة الاصفهاني: تاريخ سني ملوك الارض، ص ١٦٩- ١٧٠؛ المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص ٢٠٢- ٢٠٤؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٠٢- ٢٠٦؛ الجوزجاني: طبقات ناصري، ج، ص ١٩٧؛ خواندمير، غياث الدين بن همام الدين الحسيني: حبيب السير في اخبار افراد البشر، كتاب فروش خيام، جاب٢ (تهران، ١٣٥٣ش)، ج٢، ص ٣٤٦.

واقليم فارس، وفتح بلاد كابل التي كانت بيد الوثنين [١]، ولم يكتف يعقوب الصفار بهذا بل توجه إلى خراسان وحاصر العاصمة نيسابور ودخلها وكما اسلفنا سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٣م) خلافاً لما أمره به الخليفة العباسي المعتمد على الله (٢٥٦- ٢٧٩هـ/ ٨٦٩- ٨٩٢م)، بحجة ان اهل خراسان طلبوه للضعف الذي يعانيه الطاهريين [٢].

وبعد ان استولى يعقوب الصفار على نيسابور عانى من ازمة عدم الشرعية في اوساط اهل خراسان الذين كانوا يقرون بحسب النظرية السياسية السائدة انذاك بشرعية الخلافة العباسية فأخبر يعقوب الصفار بأن اهالي نيسابور يقولون ليس لدى يعقوب كتاب وعهد امير المؤمنين فهو خارج على سلطة الخلافة الشرعية في بغداد [٣]، وعندما وصل الخبر إلى مسامع يعقوب الصفار قام بإشهار سيفة وقال: هذا عهدي ولوائي [٤].

لم يتخذ الصفاريون عاصمة واحدة لامارتهم ولم يستقروا في قصبة واحدة لأنهم اعتمدوا في حقوقهم السلطانية وكما بينا على السيف وحده غير عابئين بالقوانين والثقافة [٥]، ولذلك نلحظ ان الصفاريين اتخذوا نيسابور وسجستان وجند نيسابور [٦]، قصبات لامارتهم ومدن لمقراتهم

(١) الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٠٢- ٢٠٤؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٦٣٣- ٦٣٥؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب: نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٤م)، مج١١، ج٢٥، ص ٢٢٩؛ بوزورث: جيش الصفارين، ترجمة: عبد الجبار ناجي، تعليق: قحطان عبد الستار الحديثي، مجلة كلية الاداب- جامعة البصرة العدد (٧)، السنة الخامسة (البصرة، ١٩٧٢م)، ص ٢١٧؛ اشبولر: تاريخ ايران درقرون نخستين اسلامي، ترجمة: جواد فلاطوري، شركة انتشارات علمي وفرهنكي (تهران، ١٣٧٧ش)، ج١، ص ١٢٣.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٧٩؛ المسعودي: مروج الذهب،ج٤، ص٢٠٠.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٩، ص ٥٠٧؛ رسول جعفريان: تاريخ ايران اسلامي، ج٢، ص ٤٧.

(٤) الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٠٣.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص ٢٠٥؛ بوزورث: جيش الصفاريين، ص ١٩٢- ١٩٣.

(٦) جند نيسابور: أو جندي سابور مدينة في خوزستان (الاحواز)، وهي مدينة خصبة واسعة الخير بها النخيل والزروع والمياه. للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص ١٧٠.

العسكرية [١]، وعليه اصبحت نيسابور في بعض الاحيان ولاية تابعة إلى نفوذ الصفاريين، ففي سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) وبعد سقوط الامارة الطاهرية لم يستقر يعقوب الصفار في نيسابور ولم يتخذها عاصمة له، بل استعمل عليها والياً من قبله [٢]، وعندما هزم يعقوب بن الليث الصفار في معركة دير العاقول في العراق سنة (٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) امام الخليفة المعتمد على الله، وفشله في تحقيق اهدافه القومية لارجاع دولة المجوس الساسانية [٣]، اتخذ مدينة جند سابور مقراً لحكمه لتأكيد سلطته في جنوب ايران وعلى مشارف الخليج العربي إلى ان توفي فيها سنة (٢٦٥هـ/ ٢٧٨م)[٤].

وبعد وفاة يعقوب الصفار اتفق الجند على مبايعة اخيه عمرو بن الليث الصفار (٢٦٥-٢٨٧هـ/ ٨٧٨- ٩٠٠م)، وقد اقرت الخلافة هذا الاختيار فاصدر الخليفة المعتمد على الله عهداً بتعيين عمرو الصفار على اقليم خراسان وتوابعها الادارية [٥].

ولكن عمرو الصفار لم يتمكن من فرض سيطرته على جميع نواحي خراسان اذ بقيت تلك النواحي مسرحاً للنشاط السياسي والعسكري للقادة المتنفذين والامراء الطامعين في ملك خراسان مثل: احمد بن عبد الله الخجستاني (ت ٢٦٨هـ/ ٨٨١م) الذي استغل وفاة يعقوب الصفار، فدخل مدينة نيسابور معلناً تمرده ضد سلطة الصفاريين [٦]، الامر الذي ادى إلى الصدام العسكري في عام (٢٦٦هـ/ ٨٧٩م) بين الخجستاني وعمرو الصفار الذي حاول استعادة نفوذه إلى نيسابور

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص ٢٠٢؛ مؤلف مجهول: تاريخ سجستان، ص ٢٤٥.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٩٧؛ حمزة الاصفهاني: تاريخ سني ملوك الارض، ص ١٧٠.

(٣) المسعودي: التنبيه والاشراف، ص ٣٦٧- ٣٦٨؛ نظام الملك الطوسي، ابو علي حسين بن علي بن خواجة: سياسة نامة سير الملوك، ترجمة: يوسف حسين بكار، دار القدس (بيروت، د. ت)، ص ٤٦.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص ٢٠٠-٢٠١؛ قحطان عبد الستار الحديثي: الدولة العربية في العصور العباسية المتأخرة (الحركات الانفصالية في ايران)، مطبعة جامعة البصرة (البصرة، ١٩٨٧م)، ص ١٩٠.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٢، ص ١٩٧؛ المستوفي القزويني: تاريخ كزيده، ص ٣٧٢.

(٦) حمزة الاصفهاني: تاريخ سني ملوك الارض، ص ١٧٠؛ المستوفي القزويني: تاريخ كزيده، ص ٣٧٣.

ولكن الخجستاني استطاع ان يهزم عمرو الصفار، والسيطرة على نيسابور واخراج عامل الصفاريين منهما وقتل جماعة ممن كانوا يؤيدون الصفاريين بها [١].

ولم يستمر نفوذ الخجستاني مدة طويلة في سيطرته على مدينة نيسابور فقد توفي سنة (٢٦٨هـ/ ٨٨١م) تاركاً نفوذه لاحد قادته المسمى رافع بن هرثمة (ت ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م) الذي تمكن من فرض سيطرته على الكور والمدن كافة التي كانت بحوزتهم [٢].

ونتيجة لهذا الموقف الجديد الذي برز على ساحة العمل السياسي في خراسان قرر عمرو الصفار تأكيد ولائه واستعراض قوته بتنفيذ امر الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩- ٢٨٩هـ/ ٨٩٢- ٩٠١م)، بدخول نيسابور عام (٢٨٠هـ/ ٨٩٠م) للإطاحة ببقايا الطاهريين، وازاحة رافع ابن هرثمة الذي ترك نيسابور هارباً عنهما [٣].

ويتضح ان عمرو الصفار قد استقر في مدينة نيسابور جاعلاً اياها عاصمة الامارة الصفارية ومقر حكمه حتى سنة (٢٨٧هـ/ ٩٠٠م)، أي حتى تمكن الامير اسماعيل بن احمد الساماني (ت ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م) من هزيمة الجيوش الصفارية في بلخ عام (٢٨٧هـ/ ٩٠٠م) واخذ عمرو الصفار اسيراً عنده، معلناً بذلك انهاء حكم الصفاريين في خراسان [٤].

المبحث الثالث: نيسابور على عهد الامارة السامانية (٢٦٢- ٣٨٩هـ/ ٨٧٤- ٩٩٩م):

يرجع نفوذ ال سامان في خراسان منذ عهد جدهم سامان خداة الذي كان في بلخ وحظي بعلاقات طيبة مع اسد بن عبد الله القسري (ت١٢٠هـ/ ٧٣٧م)، امير خراسان، وما لبث ان توثقت هذه

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج٩، ص ٥٥٢؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٣٣٨.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٩، ص ٦١٢؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٠٤؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٤١٧.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج١٠، ص ٧؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٤٧٥.

(٤) النرشخي، ابو بكر محمد بن جعفر: تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: الدكتور امين عبد المجيد بدوي، ونصرت مبشر الطرازي، دار المعارف (القاهرة، ١٩٦٥م)، ص ١١٨؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٠٧؛ المستوفي القزويني: تاريخ كزيده، ص ٢٠٨- ٢٠٩.

العلاقات مع الخلفاء في بغداد، منذ عهد الخليفة المأمون [١]، وكان لهذه الاسرة شأن عظيم في أثناء حكم ال طاهر، وأحسن اليهم طاهر بن الحسين امير خراسان، عندما اقر نوحاً على حكم سمرقند [٢]، ولما توفي نوح صارت سمرقند لاخيه احمد، وخلفه بعد ذلك ابنه نصر بن احمد، وظل يحكمها نيابةً عن الطاهريين حتى سقوط الامارة الطاهرية [٣]، وبعدها اصدر الخليفة المعتمد على الله امراً بتعيين نصر بن احمد اميراً على بلاد ما وراء النهر سنة (٢٦١هـ/ ٨٧٤م) وبذلك بدأت الامارة السامانية في الظهور والاستقلال عن حكام خراسان[٤].

وفي سنة (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) توفي الامير نصر بن احمد، وقام بعده الامير اسماعيل بن احمد (٢٧٩– ٢٩٥هـ/ ٨٩٢– ٩٠٧م) خليفةً له على جميع بلاد ما وراء النهر [٥].

تسلم الامير اسماعيل بن احمد الساماني من الخليفة المعتضد بالله عهد خراسان سنة (٢٨٨هـ/ ٩٠١م)، وبذلك صارت خراسان وبلاد ما وراء النهر وعقبة حلوان، والتركستان، والسند وجرجان تابعة للأمير اسماعيل بن احمد اذ نصب على كل بلد امير [٦]، ويعلق البلخي على هذا التوسع الكبير قائلاً: ((وهذه الممالك ما علمت ان الأكاسرة جمعتها لرجل واحد))[٧]،وبذلك تم

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٩٠– ١١٢؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٣٣.

(٢) سمرقند: بلد معروف مشهور ببلاد ما وراء النهر، قيل انه من ابنية ذي القرنين، وهو قصبة الصفد وتقع على جنوبه، وفيها بساتين ومزارع. ولها اثنا عشر باباً. للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٣، ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٠٥– ١٠٦؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٠٨؛ ارمينوس فامبري: تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: احمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له: يحيى الخشاب، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، (القاهرة، ١٩٦٥م)، ص ٥٥.

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٥٠٢؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١١٦؛ ارمينوس فامبري: تاريخ بخارى، ص ٩٥.

(٥) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٦٧٧– ٦٧٨؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١١٩– ١٢٠؛ مسكويه: ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب: تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسين، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٣م)، مج٤، ص ٣٥٨– ٣٥٩.

(٦) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١١٦– ١٢٩؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٠٩– ٢١٠.

(٧) صورة الاقاليم، ورقة ٦٣.

للأمير اسماعيل الساماني توحيد ولايات كثيرة ومهمة، مترامية الاطراف واظهر ملكةً ادارية ناجحة، فضلاً عن انتصاراته الحربية المتواصلة، واتخذ بخارى عاصمة لحكمه بدلاً من سمرقند، واصبحت نيسابور مقراً لكل من يتولى قيادة الجيش بخراسان وسار على نهجه كل من اتى بعده من الامراء السامانيين [١].

وفي سنة (٢٩٥هـ/ ٩٠٧م) توفي الامير اسماعيل بن احمد امير خراسان وبلاد ما وراء النهر وولى بعده ابنه ابو نصر احمد بن اسماعيل (٢٩٥- ٣٠١هـ/ ٩٠٧- ٩١٣م) وارسل اليه الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩- ٢٩٥هـ/ ٩٠١- ٩٠٧م) عهده بالولاية، وكان له سيرة حسنة وحكم ست سنوات بالعدل والانصاف [٢].

وفي سنة (٣٠١هـ/ ٩١٣م) توفي الامير احمد بن اسماعيل وولى بعد ابنه ابو الحسن نصر بن احمد بن اسماعيل (٣٠١- ٣٣١هـ/ ٩١٣- ٩٤٢م) ولقب بالسعيد وكان سنهُ ثماني سنوات وتولى وزارته وادارة امور إمارته الوزير: ابو عبد الله محمد بن احمد الجيهاني (ت ٣٣٠هـ/ ٩٤١م) [٣]، فأمضى بضبط امور الامارة السامانية، ومع ذلك خرج عن طاعة الامير نصر بن احمد كثير من الامراء غير انه انتصر عليهم، وكانت نيسابور في تلك الآثناء مسرحاً للاضطرابات بين الولاة، وبين العرب والعجم، الا ان الامير نصر بن احمد وانصاره تمكنوا من اعادة الامان إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر، وخطب له في فارس، وكرمان وطبرستان، وجرجان، والعراق وغيرها من البلاد، ودام في الحكم ثلاثين عاماً [٤].

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١١٦- ١٢٩؛ ارمينوس فامبري: تاريخ بخارى، ص ١٠٤- ١٠٦.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٦٦٩- ٦٧٧؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٢٥- ١٢٦؛ ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان، ص ٢٦٨.

(٣) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٢٧؛ الكرديزي: تاريخ بخارى، ص ١٢٧؛ مسكويه: تجارب الامم، مج٥، ص ٢١.

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٦٧٧؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٢٧؛ اشبولر: تاريخ ايران، ج٢، ص ١٤٧- ١٤٨.

وفي سنة (٣٢١هـ/ ٩٣٣م) استعمل الامير نصر بن احمد ابا بكر محمد بن المظفر بن محتاج علي (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) على جيش خراسان وتدبير الامور بنواحيها، وكان ذلك بمثابة تثبيت قوة آل محتاج وسيطرتهم على مجرى الاحداث بخراسان، غير ان الامير عزله في سنة (٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)، وعين مكانه ابنه ابا علي احمد بن محمد بن المظفر (ت ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) على امرة جيوش نيسابور وادارتها، واصبح لآل محتاج في نيسابور شأن عظيم اذ تصرف ابو علي بن محتاج في امور خراسان حتى وفاة الامير نصر بن احمد في سنة (٣٣١هـ/ ٩٤٢م)[١].

وفي سنة (٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) اختلف ابو علي بن محتاج مع الامير نوح بن نصر الساماني (٣٣١– ٣٤٣هـ/ ٩٤٢– ٩٥٤م)، الذي تولى الحكم بعد ابيه ولقب بالأمير الحميد[٢]، فقام الاخير بعزل علي بن محتاج عن خراسان واستعمل عليها احد غلمان السامانيين المدعو: ابو علي ابراهيم بن سيمجور (ت ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م)[٣]، غير ان ابا علي بن محتاج تمكن من الاستيلاء على نيسابور، مرو، وبخارى، وخطب فيها لإبراهيم عم الامير نوح بن نصر، وبايعه الناس [٤].

وهكذا ظلت نيسابور تحت سيطرته، وكان يستميت على املاك خراسان، ودافع عنها مدة طويلة حتى اخرجه منها بكر بن مالك [٥]، في عهد الامير عبد الملك بن نوح (٣٤٣–

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٣٧؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢١٦– ٢١٧؛ ابن الاثير: كامل في التاريخ، ج٨، ص ٣٦٠.

(٢) مسكويه: تجارب الامم، مج٥، ص ٣١١؛ النويري: نهاية الارب، مج١١، ج٢٥، ص ٢١٥؛ بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، شركة الكاظمة للنشر والترجمة والتوزيع (الكويت، ١٩٨١م)، ص ٣٨١.

(٣) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٢٩؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢١٨؛ خواندمير: حبيب السير، ج٢، ص ٣٦١.

(٤) الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢١٨– ٢١٩؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤٥٦.

(٥) هو ابو سعيد بكر بن مالك القرغاني، حاكم ساماني، وكان صاحب جيش خراسان في عهد الامير عبد الملك بن نوح سنة (٣٤٣هـ/ ٩٥٤م). للمزيد، ينظر، الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٢٣.

٣٥٠هـ/ ٩٥٤- ٩٦١م) واستولى على خراسان، واقام بنيسابور يتبع اصحاب ابي علي بن محتاج [١].

وفي سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م) مات الامير عبد الملك بن نوح، وولي بعده اخوه منصور بن نوح (٣٥٠- ٣٦٦هـ/ ٩٦٦- ٩٧٦م) الملقب بالسديد [٢]، وكان البتكين قائد الجيش السامانى بنيسابور قد شق عصا الطاعة، وقصد بخارى فلم يتمكن من دخولها، واراد نيسابور فمنع من دخولها ايضاً الا انه استولى على بلخ، بعد سلسلة من المعارك اضطر فيها الامير ان يصالحه على ان تصير له نيسابور على خراج سنوي قدره خمسون الف ديناراً يؤديه [٣]، يبدو ان سبب مصالحة الامير منصور بن نوح للخارج عن حكمه البتكين هو خشيته من اتساع نفوذه، ومن اجل ابعاده عن حاضرة امارته.

وكانت المدة ما بين اعوام (٣٦٦- ٣٨٧هـ/ ٩٧٦- ٩٩٧م)، اي حكم نوح بن منصور ابن نوح (نوح الثاني)، من اصعب الأوقات اذ شهدت صراعاً بين القادة والامراء على نيسابور [٤]، وكان ابو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) صاحب الجيش بنيسابور شغل هذا المنصب ثلاث مرات في خراسان من سنة (٣٤٧- ٣٤٩هـ/ ٩٥٨- ٩٦٠م) وسنة (٣٥٠- ٣٧١هـ/ ٩٦١- ٩٨١م) وسنة (٣٧٦- ٣٧٨هـ/ ٩٨٦- ٩٨٨م) واجرى بين نيسابور وهراة وسجستان اكثر من ثلاثين سنة على السداد والاستقامة في معظمها [٥].

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٣٧؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٢٣- ٢٢٤.

(٢) مسكويه: تجارب الامم، مج٥، ص ٣٣٢؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٢٨؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص ١٠١.

(٣) حمزة الاصفهاني: تاريخ سني ملوك الارض، ص ١٧٢؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٣٩- ١٤٠؛ مسكويه: تجارب الامم، مج٥، ص ٣٣٢.

(٤) حمزة الاصفهاني: تاريخ سني ملوك الارض، ص ١٧٢؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٣٩؛ مسكويه: تجارب الامم، مج٥، ص ٣٣٢؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٥٧٩.

(٥) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٤٢- ١٥٢؛ ارمينوس فامبري: تاريخ بخارى، ص ١١٨- ١٢١.

المبحث الرابع: نيسابور على عهد الامارة الغزنوية (٣٨٤-٤٢٩هـ/ ٩٩٤- ١٠٣٧م):

وفي سنة (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) ولى الامير نوح الثاني الساماني محمود بن سبكتكين (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، ولقبه بسيف الدولة، وابو ناصر الدولة، واستقر المقام لمحمود بنيسابور، وابوه بهراة، غير ان ابا علي السيجمور كان لمحمود بالمرصاد وتمكن من اخراجه عن نيسابور، فدخلها ابو علي السيجمور مرة اخرى إلى ان اجتمع له سبكتكين وابنه محمود في عسكر ضخم واستردا نيسابور من ابي علي بن السيجمور [١].

وفي سنة (٣٨٩هـ/ ٩٩٨م) قام القائد محمود بن سبكتكين بالاستيلاء على خراسان وازالة اسم السامانية فيها واقام الخطبة للخليفة القادر بالله العباسي (٣٨١- ٤٢٢هـ/ ٩٩١-١٠٣٠م)، وانفرد بخراسان، وجعل اخاه نصراً على قيادة الجيش بخراسان، واقام بنيسابور، وسار هو إلى بلخ مستقر والده فاتخذها عاصمةً لإمارته [٢].

وفي سنة (٣٩١هـ/ ١٠٠٠م) قام ابو علي ابراهيم اسماعيل المنتصر بن نوح الساماني (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) بمحاولة يائسة لاسترداد نيسابور، منعه من ذلك اميرها نصر بن ناصر الدولة الذي كان يحكمها من قبل السلطان محمود الغزنوي (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، ونشبت الحرب بينهما عدة مرات ولم يزل في محاولته حتى قتل [٣]، وكانت اخر محاولة لآل سامان للدفاع عن نيسابور، غير ان الامراء الغزنويين ما كادوا يستقرون في خراسان عامة وبنيسابور خاصة حتى واجهتهم القوات السلجوقية التي قويت شوكتها يوماً بعد يوم[٤].

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٧٠٨؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص ٢٣٤- ٢٣٥؛ الجوزجاني: طبقات ناصري، ج١، ص ٢١٣.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٧٠٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص ٧؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص ٢٣٧- ٢٣٨.

(٣) الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٥١.

(٤) الحسيني: صدر الدين بن علي: اخبار الدولة السلجوقية، تصحيح: محمد اقبال، دار الافاق الجديدة (بيروت، ١٩٨٤م)، ص ٤-٥.

المبحث الخامس: نيسابور على عهد الدولة السلجوقية (٤٢٩- ٥٤٨هـ/ ١٠٣٧- ١١٥٣م):

وفي سنة (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) دخل ركن الدولة ابو طالب طغرلبك محمد بن اسماعيل السلجوقي (٤٢٩- ٤٥٥هـ/ ١٠٣٧- ١٠٦٣م) مدينة نيسابور، واقام بدار الامارة، وجلس على سرير السلطان مسعود بن محمود الغزنوي (٤٢١- ٤٣٢هـ/ ١٠٣٠- ١٠٤٠م)، بعد صراع طويل مع ولاة خراسان، الا ان اهل نيسابور قاوموا السيطرة السلجوقية على مدينتهم واخرجوهم منها، وعلى اثر ذلك رجع اليها السلطان مسعود الغزنوي غير ان السلاجقة لم يلبثوا حتى اشتدت شوكتهم وانتصروا على جيش مسعود الغزنوي، واخرجوهم من نيسابور، وتمكن طغرلبك من الرجوع اليها مرة اخرى واستقر في محلة الشاذياخ، وخطب له فيها بالسلطان المعظم، ولم تأتِ نهاية إلا سنة (٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) إلى وقد كان السلاجقة قد احكموا السيطرة على جميع اقليم خراسان [١].

وفي سنة (٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م)، قام الامير مودود بن مسعود الغزنوي (٤٣٣هـ- ٤٤٠هـ/١٠٤١-١٠٤٨م) بمحاولة فاشلة لاسترداد نيسابور ورد جيشه السلجوقي على اعقابه [٢].

وفي سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) توفي طغرلبك الذي شمل نفوذه بغداد وخطب له فيها ومن اتى بعده من ابنائه، وترك اكبر واقوى دولة في المشرق الاسلامي التي كانت تضم بلاد ايران ومعظم بلاد ما وراء النهر، وخاطبه الخليفة العباسي بسلطان المشرق والمغرب [٣].

غير ان الدولة السلجوقية لم تدم لها السيطرة وجمع الكلمة في المشرق طويلاً بعد انتهاء حكم السلاطين العظام، فقد دبت الخلافات بين ابناء الاسرة الحاكمة، ولاسيما بعد وفاة طغرلبك ونتج عن هذه الصراع الاسري استيلاء احد امراء البيت السلجوقي، وهو بركيارق بن ملكشاه (٤٨٧- ٤٩٨هـ/ ١٠٩٤- ١١٠٤م) على خراسان ودخول نيسابور في سنة (٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م)، والقبض على رؤسائها، وجعل الامير حبش بن التونتاق عليها [٤].

(١) الكرديزي: زين الاخبار، ص ٢٨٤؛ الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية، ص ١١.

(٢) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص ٥١٨.

(٣) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٧٩؛ الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية، ص ١٧-١٨.

(٤) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤٢٥.

وفي السنة (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) انتهت سيطرة السلاجقة على خراسان عامةً، وأما نيسابور فكانت بمثابة نقطة البداية لنهاية دورها الحضاري الذي امتدت زهاء ثلاثة قرون متتالية ذلك ان الغز، هاجموا خراسان ودخلوها ولم يكن باستطاعة السلطان السلجوقي سنجر (ت ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) التغلب عليهم وانتهى الامر بان أُسر هو وجماعته من الامراء، واستولى الغز على نيسابور فاكثروا فيها القتل والفساد، واسترقوا النساء والاطفال، وقتلوا العلماء وخربوا المساجد والمدارس [١]، قال ابن الاثير: ((وولوا على نيسابور والياً، فقسط على الناس كثيراً وعسفهم وضربهم... وقال اريد مَلء هذا ذهباً؛ فشار عليه العامة فقتلوه ومن معه فركب الغز ودخلوا نيسابور ونهبوها نهباً مجحفاً، وجعلوها قاعاً صفصفاً، وقتلوا الكبار والصغار واحرقوها، وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد كلها))[٢].

وكانت خراسان عامةً ونيسابور خاصةً قد شهدت في عهد السلطان سنجر طفرة هائلة في ميدان العلم مصداقاً لذلك قول الراوندي: ((وقد صار اقليم خراسان في عصره مقصداً للناس جميعاً، ومنهلاً للعلوم، ومنبعاً للفضائل، ومعدناً للفضل والعلم، وكان سنجر يحترم علماء الدين احتراماً كبيراً، ويتقرب اليهم تقرباً تاماً))[٣].

المبحث السادس: نيسابور على عهد الدولة الخوارزمية (٥٥٢– ٦١٨هـ/ ١١٥٧– ٢٢١٠م):

وبعد وفاة السلطان السلجوقي سنجر اخذت انظار الدولة الخوارزمية (٤٩٠–٦٢٨هـ/ ١٠٩٦– ١٠٣٠م)، تتجه صوب خراسان، اذ طمع السلطان خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسر (٥٥١– ٥٦٨هـ/ ١١٥٦– ١١٧٢م) في ممتلكات السلاجقة، اذ سار على راس جيش كبير سنة (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، وتمكن من السيطرة على كبريات مدن خراسان، ثم توجه الجيش الخوارزمي إلى نيسابور واستولى عليها، واضطر حاكم نيسابور المؤيد إلى عقد صلح مع ايل ارسلان فأوفد اليه رسولاً يعلمه انه دخل في طاعته وان يضرب السكة والدنانير وان يتصرف في البلاد عن امره ونهيه، فسر ايل ارسلان ووافق على الصلح [٤].

(١) الراوندي: راحة الصدور، ص ٢٦٨– ٢٧٢.
(٢) الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٢٠٠.
(٣) راحة الصدور، ص ٢٦٠.
(٤) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٣١٩–٣٢٠.

توفي خوارزمشاه ايل ارسلان في سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)، وملك بعده ابنه الاصغر سلطان شاه محمود بن ايل ارسلان (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) ودبرت والدته شؤون الملك، الامر الذي ادى إلى نشوب صراع على كرسي الحكم بين سلطان شاه محمود واخي الاكبر علاء الدين تكش (٥٦٨-٥٩٦هـ/ ١١٧٢- ١١٩٩م)، فالتجأ الاخير إلى ملك الخطاء [١]، مستنجدا بهً، ورغبه في اموال خوارزم وذخائرها فسير معه جيشاً وجاء به إلى خوارزم وهرب سلطان شاه محمود وامه إلى المؤيد صاحب نيسابور، الذي تغلب عليها بعد وفاة السلطان سنجر، واهدى له ورغبه في اموال وذخائر خوارزم فجهز صاحب نيسابور جيشاً وسار معه إلى خوارزم والتقى مع جيش علاء الدين تكش بن ايل ارسلان قرب خوارزم، وكانت الحرب سجالاً وانتهت بهزيمة سلطان شاه محمود وجيء بالمؤيد صاحب نيسابور اسيراً إلى علاء الدين تكش فامر بقتله بين يديه، وفر سلطان شاه محمود إلى نيسابور، وقد آلت ولايتها الى ابن المؤيد ويدعى (طغان شاه ابو بكر بن المؤيد)[٢].

وظلت نيسابور ساحة صراع بين الدولة الخوارزمية والامارة الغورية (٥٤٣- ٦١٢هـ/ ١١٤٨-١٢١٥م)[٣]، حتى وفاة السلطان علاء الدين تكش بن ايل ارسلان (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)[٤].

(١) الخطاء: هم من التونغوز من الشعوب الصينية التي تنتمي إلى عائلة اللغة التائية، وموطنهم الصين الشمالية ويعرف باسمهم (اقليم الخطاء)، وفي النصف الاول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، نزحت جماعات من الخطائيين من موطنهم الاصلي واستقروا غرب اقليم التركستان وكونوا دولة القره خطائيين. للمزيد: ينظر، ابن العبري، غريغوريوس الملطي: تاريخ الدول السرياتي، منشورات مجلة المشرق اللبنانية،(بيروت، ١٩٥٤م)، ص ١٣٤.

(٢) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٣٧٣.

(٣) الغورية: أو الغور ولاية تقع بين هراة وغزنة تحيط بها الجبال من جميع الجهات، والغور ينتسبون إلى هذه الولاية، وهم ينحدرون من اصول افغانية قديمة استقر في هذه الولاية وتسمت بها، وكون الغور الامارة الغورية (٥٤٣- ٦١٢هـ/ ١١٤٨- ١٢١٥م)، بعد ان اتخذت من شمال الهند مستقراً ومن ثم اصبحت كلاً من غزنة ولاهور حاضرةً لهذه الامارة. للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص ٢١٨؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر (بيروت، ١٩٦٠م)، ص ٤٢٩؛ عبد الستار مطلك درويش: الامارة الغورية في المشرق (دراسة في احوالها السياسية والحضارية ٥٤٣-٦١٢هـ)، دار عالم الثقافة (عمان، ٢٠١١م)، ص ١٨-٢٠.

(٤) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٧٠؛ النويري: نهاية الارب، ج٢٧، ص ٢٠٥.

خلف السلطان علاء الدين تكش في الحكم ولده علاء الدين محمد بن تكش (٥٩٦-٦١٧هـ/ ١١٩٩-١٢٢٠م)[١]، ومن اول المشاكل التي واجهها تأزم النزاع الذي تفجر بينه وبين ابن اخيه هندوخان بن ملكشاه الذي كان جده تكش قد ولاه على نيسابور، وقد تخوف هندوخان من عمه علاء الدين محمد بن تكش لعداوة بينه وبين ابيه، فما ان مات جده حتى استولى على خزائنه وارتحل إلى مدينة مرو في محاولة منه للاستيلاء على خراسان، الامر الذي اغضب علاء الدين محمد بن تكش فارسل اليه جيشاً كبيراً بقيادة (جقر التركي) فهرب هندوخان إلى السلطان غياث الدين محمد بن وسام الغوري (٥٥٨-٥٩٩هـ/١١٦٢- ١٢٠٢م)[٢]، مما ادى إلى اشتعال الصراع بين الطرفين مرةً اخرى، اذا وجد السلطان الغوري في التجائه فرصة لتحقيق اطماعه التوسعية في خراسان، فارسل السلطان الغوري غياث الدين محمد جيشاً عظيماً بقيادة نائبه على الطالقان [٣]، محمد بن خرميل، الذي تمكن من قيادة الجيش والاستيلاء على مدينة مرو الاستراتيجية، الامر الذي شجع السلطان الغوري على اخضاع باقي مدن خراسان، وفعلاً فقد تمكن الجيش الغوري في فترة وجيزة من السيطرة على معظم مدن خراسان [٤]، وبعد الانتصارات الكبيرة التي حققها الجيش الغوري على الساحة الخراسانية، تطلع انظار السلطان غياث الدين محمد الغوري صوب نيسابور لمد نفوذ امارته إلى اخر معقل للخوارزميين في خراسان، والتي كان حاكمها في تلك الفترة اخو السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد بن تكش المدعو (علي شاه)، فراسله غياث الدين محمد الغوري يأمره بالتخلي عن نيسابور، الا انه أبى واصر على مقاومة الجيش الغوري، فسار السلطان غياث الدين الغوري إلى نيسابور، فوصلها في اوائل رجب سنة (٥٩٧هـ/ اذار- ١٢٠٠م)، وضرب عليها الحصار، وقد دافع الجند الخوارزميين عنهما بحماس فائق الا ان بعض

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٧١؛ نافع توفيق العبود: الدولة الخوارزمية، مطبعة الجامعة (بغداد، ١٩٧٨م)، ص ١٣٢.

(٢) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٧١-١٧٣.

(٣) الطالقان: بلد بخراسان بين مرو وبلخ وهي مدينة في مستوى الارض، ولها نهر كبير وبساتين. للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص ٦.

(٤) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٧١-١٧٣.

ابراج السور قد انهارت بسبب ثقل المدافعين عنهما مما سنح الفرصة للجيوش الغورية من دخول المدينة [١].

وقد بقي السلطان غياث الدين الغوري في خراسان حتى اطمئن على اوضاعها بعد ان كان قد الحقها بحاضرة ملكه، وبهذا فقد ازال كل اشكال الوجود والتبعية للخوارزميين في خراسان، ثم رحل إلى هراة [٢].

وبعد عدة اشهر تمكن خوارزمشاه علاء الدين محمد بن تكش من اعادة تنظيم صفوف جيشه بغية اعادة سلطة الخوارزميين إلى خراسان، فشرع في مهاجمة المدن والقصبات الخراسانية في منتصف ذي الحجة سنة (٥٩٧هـ/ ايلول/١٢٠١م)، وتمكن من استرجاع معظم المدن الخراسانية، وواصل المسيرة إلى مدينة نيسابور مقر الأمير الغوري علاء الدين فحاصره حصاراً شديداً لمدة شهرين، وما ان وهنت قوة الامير الغوري ونفذ صبره من وصل الامدادات حتى ارسل إلى خوارزمشاه علاء الدين محمد بن تكش يطلب الامان له ولجيشه مقابل تسليم المدينة للخوارزميين [٣]، وهكذا فقد استقامت اغلب المدن الخراسانية لخوارزمشاه علاء الدين محمد بن تكش، بما فيها مدينة نيسابور التي ظلت تحت سيطرة الخوارزميين حتى سقوطها بيد المغول.

المبحث السابع: الاحتلال المغولي لمدينة نيسابور (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) :

بدأ جنكيز خان غزوه للعالم الاسلامي عام (٦١٦هـ/ ١٢١٨م) واجتاحت جيوشه دولة خوارزم التي تضم بلاد ما وراء النهر واكثر اقاليم الافغان وايران، وقد كان غزوه للعالم الاسلامي جزءاً من حركة واسعة تستهدف اقامة امبراطورية مغولية عالمية، وتأسست فعلاً ايام جنكيزخان

(١) الجوزجاني: طبقات ناصري، ج١، ص ٤٦٣-٤٦٤.

(٢) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٧٦- ١٧٨.

(٣) الغساني، ابو العباس اسماعيل بن العباس بن رسول: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، اخرجه: علي الخاقاني، تحقيق: شاكر محمود بن عبد المنعم، دار التراث الاسلامي، بيروت؛ ودار البيان،(بغداد، ١٩٧٥م)، ج٢، ص ٢٧١.

باحتلاله امبراطورية الصين الشمالية واواسط ايران وجورجيا والقفقاس وروسيا وبولندا واجزاء من اوربا الشرقية [١].

اخذ جنكيز خان بالبحث عن الاسباب التي تؤدي إلى الحرب بينه وبين الدولة الخوارزمية[٢]، فاستغل حادثة مقتل مجموعة من التجار في مدينة اترار من قبل حاكمها المعين من السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه [٣]، والذين ارسلهم جنكيزخان للمتاجرة مع بلاد خوارزم حسب اتفاقية سابقة حجة لتحقيق ذلك [٤]، ونتيجة لذلك زحف الجيش المغولي نحو بلاد خوارزمشاه المتمثلة ببلاد ما وراء النهر فبدأ بالاستيلاء اولاً على مدينة اترار عام (٦١٦هـ/ ١٢١٨م) ثم تلتها سقوط مدينة جند [٥]،عام (٦١٧هـ/ ١٢١٩م) ثم مدينة بناكت [٦]، فمدينة بخارى التي ارتكب فيها جنكيزخان وقواته ابشع المجازر ثم اعقبتها مدينة سمرقند، وازاء هذه

(١) سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر: مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، (الهند، ١٩٥١م)، ج٨، ق٢، ص ٦٠٩؛ سوادي، عبد محمد الرويشدي: أمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، مطبعة الارشاد، (بغداد، د.ت)، ص ٢٤١.

(٢) يفهم من نص الرسالة التي ارسلها جنكيز خان إلى علاء الدين والتي احتوت على نوع من السخرية عندما نعته بالولد وهذه الكلمة تطلق في الشرق على الخدم والاتباع كما اشار في كلامه إلى الخضوع والتهديد والوعيد. للمزيد، ينظر، النسوي، محمد بن احمد: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ احمد حمدي، دار الفكر العربي، (مصر، ١٩٥٣م)، ص ٨٣، ٨٤.

(٣) السبكي، تاج الدين ابو المظفر عبدالوهاب: طبقات الشافعية الكبرى، طبع مطابع عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، (د.م، د.ت)، ص ٣٣٢.

(٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٦٠٩، ٦١٠؛ خليل ابراهيم السامرائي (واخرون): تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٨٨م)، ص ٣٥٥.

(٥) جند: مدينة في بلاد تركستان، قريبة من خوارزم، وتلتقي ببلاد الترك مما وراء النهر قريبة من نهر سيحون. للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، ص ١٦٨.

(٦) بناكت: مدينة كبيرة ببلاد ما وراء النهر.للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ص ٤٩٦.

الهجمات التي قامت بها قوات المغول لم يستطع السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه ان يصمد امام هجمات المغول عند ذلك قرر الانسحاب من مدينة بلخ إلى نيسابور [١].

وصل السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه مدينة نيسابور عام (٦١٧هـ/ ١٢١٩م) ووصف لنا الجويني حالة السلطان فذكر:((ان السلطان محمد خوارزمشاه دخل المدينة وكان الخوف قد تملكه من قوات المغول، وهو يعاني من الالم والحسرة لما رآه من تخريب القلاع والحصون التي بناها طوال حكمه)) [٢]، ثم اخذ السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه ينصح الناس ويحثهم في الدفاع عن مدينتهم حيث كان يقول لهم: "اذا تكاتفتم ايها الناس فلن يقدر المغول علينا، وهي قاعدتهم ولهذا وصلوا إلى المقام المشار اليه، وجلسوا على صدور المعركة، ولن يتركوا احداً حياً، وسيفنونكم بسيوفهم ويأسرون نسائكم وولدانكم، ولا تنفع الحيلة بعد ذلك، وسيغروكم فتجمعوا ولا تميلوا إلى التفرقة"[٣]، ولكن نصيحة السلطان لسكان مدينة نيسابور لم تلقي اذاناً صاغية ولم تلمس شغاف قلوبهم فقال لهم: "مع ان قوة السواعد لن تنفع معهم، ولا التحصن يمنعهم فان الواجب يحدوكم إلى ان ترمموا اسواركم، وفعلاً اخذ الناس يبنون اسوارهم"[٤].

في تلك الاثناء وصلت إلى السلطان انباء تحرك القوات المغولية بقيادة كل من (يمه) و (سبتاي) باتجاهه، في الوقت نفسه ايقن السلطان بان القوات المغولية لن تستطيع الوصول اليه بسرعة فائقة، فأطمئن قليلاً واسترخى [٥]، ثم فكر السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه بالمحافظة على مدينة بلخ، فقرر مغادرة مدينة نيسابور، وقبل مغادرته المدينة عين نواباً عنه لإدارة المدينة من

(١) الجويني، عطا ملك: تاريخ فاتح العالم (جهانكشاي). نقله عن الفارسية: محمد التونجي (انلكترا، ١٩٨٤)، مج١، ص ١٦٤.

(٢) تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٦.

(٣) الجويني: تاريخ فاتح العالم، ص ١٦٦.

(٤) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج ١، ص ١٦٦.

(٥) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٦؛ عباس، اقبال: تاريخ ايران بعد الاسلام منذ بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، نقله عن الفارسية وقدم له: محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٩٩٠م)، ص ٣٦٨.

امثال: فخر الملك نظام الدين ابي المعالي الكاتب الجامي، وضياء الملك عارض الزوزني، ومجير الملك الكافي عمر الكرخي، وطلب اليهم ان يقوموا بإدارة مصالح المدينة بالاتفاق فيما بينهم [١].

لكن ما ان رحل السلطان عن المدينة حتى قدم من خوارزم [٢]، امير المجلس فيها ويدعو (شرف الدين) والذي كان بمثابة خادماً وركناً من اركان السلطان نفسه وقام بتنصيب نفسه ملكاً على نيسابور، لكنه قبل وصوله المدينة توفي بظروف غامضة، فسرق الخدم الذين كانوا يرافقوه معظم خزائنه واملاكه، في تلك الاثناء خرج مجير الملك الكافي لاستقباله خارج المدينة، ولما علم بخبر وفاته قام بإدخال خدمه وعلمائه إلى المدينة، غير انهم رفضوا البقاء فيها وآثروا اللحاق بالسلطان [٣].

وفي اليوم التالي وصلت طلائع جيش المغول بقيادة كل من (يمه وسبتاي) اطراف المدينة، وفي تلك الاثناء رأى اربعة عشر فارساً من فرسان المغول غلمان وخدم شرف الدين على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة مغادرين، كان يقدر عددهم بنحو الالف، وعلى وجه السرعة توجه الجيش المغولي وبصحبته الفرسان واستطاعوا اللحاق بهم وقتلهم عن بكرة ابيهم [٤]،وكان من شأن هذه الحادثة ان تزرع الرعب والخوف لدى سكان المدينة.

بعد ذلك عاد الجيش المغولي إلى نيسابور ليستفسروا عن السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، فأخبرهم مجير الملك بان السلطان قد سلمه المدينة وقال لهم: ((انا رجل عجوز من اصحاب الكتابة اسرعوا خلف السلطان، فان ظفرتم به فالملك لكم وانا ايضاً عبدكم))[٥]، ثم طلب

(١) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٧.

(٢) خوارزم: ليس اسماً للمدينة، انما هو اسم لناحية كبيرة عظيمة وقصبتها الجرجانية اهلها يسمونها كركانج وهي على نهر جيحون. للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص ٣٩٥؛ ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار المعرفة، ط١، (بيروت، ١٩٥٤م)، ص ٤٨٧.

(٣) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٧؛ اقبال: تاريخ ايران بعد الاسلام، ص ٣٦٨.

(٤) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٧.

(٥) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٧.

قائد المغول من اهالي المدينة، ان يهدموا اسوار مدينتهم التي بنوها بأيديهم، وان يقدمون الاموال والمؤن اللازمة، كما اوصاهم بتلبية طلبات المغول القادمين، وكتب قائد الجيش المغولي (يمه) معظم هذه التعليمات بالخط الاويغوري وامر بتعليقها، كما قام بتعيين شحنة [١] لإدارة المدينة من قبله [٢].

رحل الجيش المغولي عن مدينة نيسابور، وذلك ليواصلوا ملاحقتهم للسلطان الخوارزمي، وما ان ابتعد الجيش المغولي عن المدينة، حتى ثار الاهالي واعلنوا العصيان وقاموا بقتل الشحنة المغولي [٣]، وعلى اثر ذلك قام شحنة المغولي على مدينة طوس بأرسال عدة رسائل إلى نيسابور يطالب فيها اهالي المدينة بوجوب تقديم الطاعة، لكنه ما كان يسمع من نيسابور إلا الجواب القاسي [٤].

على اثر الاحداث الانفة الذكر، ذهب احد قواد المغول والمدعو ابو تراب [٥]،إلى مدينة أستوا [٦]، التي كان الامير المغولي (قشتمور) متمركزاً فيها مع ثلاثمائة من فرسانه، ثم قام (قشتمور) بأرسال شخصاً لأعلام الامراء المغوليين ويشرح لهم ان اهالي نيسابور قاموا بقتل

(١)الشحنة: وظيفة استحدثت في العهد السلجوقي وكان صاحبها يمين السلطان، وهي اشبه ما تكون بمحافظ المدينة أو صاحب الشرطة أو الحاكم العسكري، وفي العصر المغولي وسعت صلاحية الشحنة فاصبح مراقباً لحاكم المدينة، والدفاع عن البلاد ضد التهديدات الخارجية، وقيادة الجيش وقمع حركات التمرد، وكان لا يعينون إلا مغولياً في هذه الوظيفة لأهميتها وعدم ثقة الخانات بغير ابناء جنسهم وخاصة بما يتعلق بالأمور العسكرية. للمزيد، ينظر: علاء، محمود خليل قداوي: المغول في الموصل والجزيرة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب (جامعة الموصل،١٩٨٥)، ص ١٤٢.

(٢) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٧.

(٣) عباس اقبال: تاريخ المغول، ص ٣٦٨.

(٤) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٨.

(٥) لم نجد له تعريفاً في المصادر والمراجع.

(٦) أستوا: وهي كورة من نواحي نيسابور ومعناها بلسانهم المضاة والمشرقة، وتشتمل على ثلاث وتسعين قرية وقصبتها جنوسان، ويقال ان استوا ناحية من نواحي نيسابور وحدودها متصلة بحدود نسا. للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ص ١٧٥.

الشحنة وان الفتنة قد عمت تلك المدينة [١]، وعلى الفور صدرت الاوامر إلى الامير قشتمور بالتحرك من مدينة أستوا إلى مدينة طوس مع فرسانه الثلاثمائة مفاجئاً اهالي نيسابور، كما انظم اليه تغاجار كوركان صهر جنكيزخان مع الامراء المغول العظام بعشرة الاف رجل ووصلوا إلى ابواب مدينة نيسابور [٢]، إلى ان اهالي نيسابور رفضوا الاستسلام، فحدث القتال بين الطرفين واستمر قرابة الشهر، وذكر الجويني في هذا الصدد قائلاً: ((وفي اليوم الثلاثين اشتدت الحرب من طرف برج قراقوش فكانت النبال تتقاذف من على الاسوار والجدران، ومن سوء طالع وسبب هلاك الخلق ان سقط بسهم على تغاجار فقتله))[٣]، إلا ان الاهالي لم يكونوا يعلمون ان صهر جنكيزخان تغاجار قد قتل، كما تمكن اهالي نيسابور من اسر اسيرين من الجيش المغولي، فعلموا عن طريق هؤلاء الاسرى بمقتل تغاجار، فعمت البهجة ارجاء المدينة [٤].

وفي تلك الاثناء اخذ سكان نيسابور يستهدفون العساكر المغولية بالملاحقة والقتل، وقد عم الغلاء في المدينة حيث كان يمنع الناس من الخروج من المدينة وذلك لأجل التزود بالأشربة والاطعمة، فعانى السكان من ذلك كثيراً [٥].

كانت اخبار المدينة تصل اول بأول إلى تولوي خان ابن جنكيزخان، الذي كان مشغولاً بالاستيلاء على مدينة مرو، وعندما تمكن من الاستيلاء عليها قرر التوجه إلى نيسابور والاخذ بثأر زوج اخته الذي قتل هناك، ولتحقيق هدفه قام تولوي خان بإعداد خطة محكمة للاستيلاء على المدينة، حتى انه لم يعلم احد بها حتى جنوده وكابر قادته [٦].

سار تولوي إلى مدينة نيسابور للاستيلاء عليها وتدميرها، ومما يلاحظ ان هذه المدينة قد خربت مرتين في غضون نصف قرن، مرة في سنة (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، وكما اسلفنا سابقا، على

(١) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٨.

(٢) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٨.

(٣) تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٨.

(٤) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٩؛ الجوزجاني: طبقات ناصري،ج٢، ص ١٣٦.

(٥) حافظ، احمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، (مصر، ١٩٤٩م)، ص ١٥٠، ١٥١.

(٦) الجوزجاني: طبقات ناصري، ج٢، ص ١٣٦.

يد الاتراك الغز الذين ثاروا في وجه السلطان سنجر السلجوقي، واكتسحوا اقليم خراسان [١]، ومرة اخرى في سنة (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) بتأثير هزة ارضية عنيفة حتى اضطر الاهالي إلى الهجرة والسكن في الاراضي الصحراوية المحيطة بالمدينة فترة من الزمن [٢]، وبعد ان استعادت نيسابور بهائها وعمرت بسكانها ومبانيها قدر لها ان تخرب للمرة الثالثة على يد تولوي، الذي اراد ان يثأر لموت تغاجار، الذي قتل امام اسوار هذه المدينة، عندما حاول الاستيلاء عليها قبل وصول تولوي بجيوشه [٣]، اما الاهالي فقد اخذوا اهبتهم للاستعداد عندما علموا بنية المغول بمهاجمة المدينة، فجهزوا ثلاثة آلاف آلة لقذف الرماح، وخمسمائة منجنيق، كما ادخل الاهالي إلى المدينة المحاصيل والحبوب خوفاً من تعرضهم لحصار طويل [٤]، وفي المقابل قام المغول بالإعداد جيداً من اجل الاستيلاء على المدينة، فقاموا بالبداية بتخريب جميع الاراضي التي كانت تحيط بالمدينة، كما نصبوا امامها ثلاثة الاف آلة لقذف الرماح، وثلاثمائة منجنيق، وسبعمائة آلة لقذف النفط، كما جلبوا اربعة الاف مسلم كان قد اسرهم المغول اثناء استيلائهم على المدن ووضعوهم امام الجيش النظامي وكانت هذه عادة المغول، كما احضروا من الجبال القريبة الفين وخمسمائة حمل من الطوب [٥].

لما رأى السكان المحاصرون وقواد الجيوش الخوارزمية هذه المعدات الحربية، فضلاً عن الجيوش المغولية التي احاطت بالمدينة من كل جانب فقدوا رباطة جأشهم وفكروا في التفاوض مع المغول [٦]، وعلى هذا الاساس قام الاهالي بإرسال نواباً عنهم من الائمة وكبار رجال المدينة وكان على رأسهم قاضي القضاة في خراسان ركن الدين علي بن ابراهيم المغيثي ثم ذهبوا إلى

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص ٧٩- ٨٢.

(٢) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص ١٣١.

(٣) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٩؛ حافظ: الدولة الخوارزمية، ص ١٥٠.

(٤) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٦٩.

(٥) حافظ: الدولة الخوارزمية ، ص ١٥٠؛ عفاف صبرة، نجوى كيرة: تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الاسلامي، زهراء الشرق، ط١، (القاهرة، ١٩٨٨م)، ص ٢٢٥.

(٦) الصياد، فواد عبدالمعطي: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية،(بيروت،١٩٨٠)، ص ١٣١.

تولوي بن جنكيزخان وعرضوا عليه مطاليب اهل نيسابور، والتي تضمنت الامان على انفسهم واموالهم، كما تعهدوا للمغول بدفع ضريبة سنوية [١]، ولكن تولوي خان الذي كان صدره يغلي ونفسه تتحرق شوقاً للانتقام لمقتل زوج شقيقته تغاجار، رفض كل العروض التي عرضها عليه اهالي هذه المدينة [٢].

وفي اليوم التالي تفقد تولوي جنده الذين كانوا يرابطون حول المدينة واخذ يشجعهم ويرفع من معنوياتهم، حتى اذا ما حل اليوم الثاني عشر من شهر صفر من سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م)، امر تولوي بمهاجمة المدينة من كل مكان واستمر القتال طوال النهار وطوال الليل [٣]، ثم استطاع المغول ان يخترقوا الحصون ويحدثوا في حوائطها ثغرات عديدة مكنتهم من دخول المدينة من جميع جهاتها، وسرعان ما باشر الجند بقتل الناس ونهب المدينة، فتفرق الناس يحاربون المغول بين المنازل والأحياء السكنية [٤].

ومما يدل على ان المغول كانوا يتمزقون شوقاً للتنكيل بسكان نيسابور، ان تولوي رأى بعض السكان يلتمسون النجاة بالرقاد بين جثث القتلى، فلكي لا يترك فرصة لاحد منهم بالنجاة، امر تولوي بقطع جميع رؤوس القتلى، ووضع هذه الرؤوس في جانب والاجساد في جانب اخر[٥].

أما من نجا من السكان فساقوهم المغول إلى ظاهر المدينة، وأمر تولوي ثأراً لدم تغاجار ان يهدموا المدينة بشكل يمكن زراعة ارضها، اي تتحول المدينة إلى سهل لا يبقى فيها حجر على حجر[٦]، كما صدرت الاوامر إلى الجنود بان يقتصوا من كل حي فيها، ولا يتركون هراً ولا كلباً حياً، وكان يرافق هذه الحملة ابنة جنكيزخان زوجة تغاجار، ولما تمَ احتلال المدينة دخلتها زوجة تغاجار وبصحبتها عشرة الاف رجل، واصدرت اوامرها إلى الجيش بتدمير المدينة، ففعل الجيش المغولي ما امرتهم به، فقضى اولئك الجنود الذين برفقتها سبعة ايام وليال يغمرون المدينة المخربة بالماء،

(١) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٧٠.

(٢) الجوزجاني: طبقات ناصري، ج٢، ص ١٣٦؛ الصياد: المغول في التاريخ، ص ١٣١.

(٣) الجوزجاني: طبقات ناصري، ج٢، ص ١٣٦؛ حافظ: الدولة الخوارزمية ، ص ١٥١.

(٤) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٧٠.

(٥) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص ١٨١.

(٦) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ١٧١.

وبعد تسويتها زرعوها شعيراً، وقدر عدد القتلى في نيسابور بنحو مليون وسبعمائة وخمسين الفاً [١].

وبعد ان تمت مسعة تولوي عزم الذهاب إلى مدينة هراة، وترك في نيسابور اربعمائة جندي من التابعين للمغول، ليفتشوا عمن بقي حياً ليلحقوه بإخوانهم الموتى ووصف الجويني حالة المتوفين من السكان قائلاً ((كانت الذئاب والذباب تحتفل في صدور الجثث، وعيدَّت العقبان من كثرة ما أكلت من لحم العيد، وبنت النسور من نحور الحور سوراً))[٢].وبهذا انطوت اخر صفحة من صفحات المجد والعنفوان الحضاري لمدينة نيسابور والتي كانت وفي الكثير من الاحيان تنافس كبريات المدن الاسلامية كبغداد ودمشق والقاهرة وغيرها من امهات المدن الإسلامية.

الاستنتاجات:

هذا البحث الذي نتقدم به عن مدينة نيسابور والتطورات السياسية التي شهدتها منذ مطلع القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلاد وحتى الاحتلال المغولي سنة(٦١٨هـ/١٢٢١م) توصل الى عدة نتائج مهمة يمكن حصرها في مجملها الى طبيعة الاوضاع السياسية والتطورات التي كانت تعيشها هذه المدينة وكالآتي:

١- حظيت مدينة نيسابور باهتمام المؤرخين والجغرافيين المسلمين وبلدانيهم، فكتبوا ودونوا عن أصل هذه التسمية، وعن حدودها وموقعها الجغرافي، وتضاريسها التي كان يكتنفها التنوع، فضلاً عن مناخها المعتدل والمتميز، ومواردها المائية الوفيرة، وقنواتها الكثيرة في داخل بيوتها، ناهيك عن التحدث بإسهاب عنى خطط نيسابور العمرانية من محال، وسكك، واسواق، ومساجد، وملحقات المدينة من رساتيق، وقصبات، كما أنهم بينوا اهميتها السياسية الامر الذي اكسب مدينة نيسابور صفة المدينة الانموذجية أو العصرية.

٢- أُعدت نيسابور من أهم مناطق المشرق الاسلامي نشاطاً في كافة شؤون الحياة منذ أن وصل اليها الإسلام، وبلغت قمة ازدهارها، إذ اصبحت مركزاً قيادياً لدى القيادات السياسية بخراسان

(١) الجوزجاني: طبقات ناصري، ج١، ص ١٣٦؛ اقبال: تاريخ ايران بعد الاسلام، ص ٣٦٨.
(٢) تاريخ فاتح العالم، مج ١، ص ١٧١.

وبلاد ما وراء النهر، فكان من نتائج هذا التقدم أن توسعت نيسابور، وكبرت ونمت مؤسساتها وتطور اقتصادها، وغزرت أموالها ونهضت فيها عوامل التطور الحضاري.

٣- بقيت نيسابور ذات أهمية سياسية وعسكرية لدى جميع الحكومات المتعاقبة، منذ القرن الثالث الهجري وحتى الاحتلال المغولي، اذ بقيت هذه المدينة – ولاسيما بعد أن قام الطاهريون بنقل دار الإمارة من مرو الى نيسابور – القصبة الإدارية والعسكرية الأولى للإمارات والدول التي ظهرت على المسرح السياسي في خراسان وبلاد ما وراء النهر، واصبحت محل الصراع المحتدم بين القوة السياسية المتصارعة في المشرق الإسلامي لمزاحمة الخلافة العباسية التي شهدت التراجع في العصر العباسي الثاني والظفر به، وذلك للموقع المدينة المتميز لوقوعها على طريق التجارة الدولية، فضلاً عن اقتصادها المتطور الناتج عن كثرة مواردها وخيراتها.

٤- لعبت نيسابور دوراً قياديا متميزاً في التطور الحضاري والفكري الإسلامي، وظلت طيلة اربعة قرون من أهم مراكز الاشعاع العلمي والفكري، ومناراً للعلم، وموئلاً للعلماء على مختلف مشاربهم وتخصصاتهم، حتى شهدت أزهى عصورها الحضارية في ظل الدول المتعاقبة على حكمها.

٥- يمكن القول بأن ما حصل لنيسابور من غارات قبائل الغز الاتراك، ومن ثم الاكتساح المغولي لها، تعد من أبشع الاحداث التي لحقت بها وبعدد كبير من المدن الإسلامية الكبرى في المشرق الاسلامي، ويعتبر سقوطه على أيدي الغز بداية لشل نفوذ الدولة السلجوقية الكبرى وانتهاء الوحدة السياسية للمشرق الاسلامي، ومن ثم جاء الغزو المغولي ليقوض مستقبل مدينة نيسابور تماماً، فقد قام المغول بهدم وتخريب معظم مدنها ومساجدها ومدارسها، واحراق ومكتباتها وخزائن كتبها ونهب بعضها الآخر، وقتل علمائها واعيانها، حتى قيل أن المغول قاموا بحملة إبادة جماعية شملت مليون وسبعمائة ألف نسمة، حتى لم يبقَ في هذه المدينة شيء يذكر مما تفتخر به الأمم في حياتها وحضارتها حتى كاد أن يندثر اسمها وأثرها بعد هذه الفترة.

Nishapur from Early 3rd AH until the Mongol Occupation (the Study of Political Sequence)

Dr. Hussein I. M.Aljibrany Dr. Mustafa Hashim Hanoon

Abstract

Cities are essential feature either in Khorasan or the rest of the world. City has its special importance; it reflects the significance of the state, or the region, and its activities, and it shows the increase and the decrease of the inhabitants. Nishapur is one of those cities that mirror the significance and the development of Khorasan region. The Khorasanian cities since their foundation by the Sasanian emperor Sabor1 Ibn Ardeshir Paykan in the 3rd century AH, took their first position in the old Silk Road, which connected the trade between China, India, and Arabic countries with Europe over the Mediterranean coasts. The goal was to build a strong city protecting the core of the Sasanian Kingdom against the ambitious tribes that settled down in medial Asia. Nishapur really played that role for a long time. Islam came to it too late, because of its long-distance, and it is unlike other Parisian cities which located under the firm control by Umayyads, as a result of that, Abbasids exploited it as a remote base to build their power.